الدرس (الصوتي والصرفي) عند الجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ)

أ.م.د.رحيم جمعة علي الخزرجي
الجامعة المستنصرية- كلية التربية الأساسية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

((رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُل عُقدَةً مِن لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَولِي))
صدق الله العظيم. طه (الآيات ٢٥،٢٦،٢٧،٢٨)

((اللَّهُمَّ إنّا نعوذ بك من فِتنة القول .... ونعوذ بك من السَّلاطة والهَذَرِ ، كما نعوذ بك من العِيّ والحَصَر وقديماً ما تَعَوَّذُوا باللهِ من شرِّهما ، وتضرَّعُوا إلى اللهِ في السلامةِ منهما .))

اللَّهُمَّ صلِّ على محمد وآلهِ الطيبين الطاهرين وأصحابه الغرّ المحجلين صلاةً دائمة إلى يوم الدين .

أما بعدُ :

فإنَّ عمرو بن بحر المتوفي سنة ٢٥٥هـ (الجاحظ) أديبٌ وكاتبٌ لغوي بارع ألف وكتب في أغلب فنون العلم ولا سيما علوم اللغة نطقها و بلاغتها وأسلوبها وأبنيتها فضلاً عن العلوم الأصولية والمنطقية وعلوم الإنسان والحيوان والنبات ، فدونك كتابه (البيان والتبيين) ، وكتابه (الحيوان) في خصائص الحيوان وطبيعة حياته ، وألف في طبائع البشر وسلوك الناس وصفاتهم الخلقية والخُلقية فدونك (البخلاء) و (البرصان والعميان والعرجان والحولان) شاهدين على ذلك .

أمّا (رسائله) فكانت تُنبي عن أديب وعالم نحرير طرق فنون الأدب والعلم وجمع شتاته ، فكان أسلوبه السهل الممتنع وخصيصته الاستطراد ، فكاد بالحق موسوعة علمية وأدبية ومدرسة بارعة في صنوف المعرفة ، ولهذا يُعَدُّ إماما من أئمة البيان العربي ومدرسة أدبية ولغوية لما أسدت للإنسانية واللسان العربي من خير وعطاء ثرٍّ ، حتى نافت مؤلفاته على الثمانين في أغلب الروايات ، ولكن لم يصل إلاّ النزر القليل .

في ضوء هذا البحر الزاخر للعلوم والفنون اخترنا جانبا من اهتماماته العلمية ودرسا من دروسه اللغوية ، فجمعنا الذي ذكره في الدرس الصوتي والنطقي و دروس الصرف في أبنية العربية ومعانيها ثم مناقشتها وتأصيلها في ضوء أقوال وآراء من سبقه من علماء اللغة ، نحو الخليل وسيبويه وابن السكيت ، وتحليلها وموازنتها مع آراء معاصريه ومن

جاء من بعده نحو المبرد وابن السراج وأبي بكر بن الأنباري وأبي علي الفارسي وابن جني وأصحاب المعاجم كالجوهري وابن فارس وابن منظور ، حتى نعرف ويعرف الآخرون كنوز البحر الزاخر عمرو بن بحر ونرفد البحث العلمي من لؤلؤ ذلك البحر ، يظهر ذلك من مزاوجة اطروحاته مع اطروحات غيره من العلماء ونعطي الرجل حقّه ، والحق يقال إن أغلب الذي قاله وذهب إليه وحققه ، قد أشار إليه من سبقه ، لكنه أضاف عليه من خبرته وثروته العلمية وفكره الثاقب ، فكان يدقق في كثير من الموضوعات اللغوية ويصرف القول فيها ويستطرده ولاسيما الأبنية الصرفية والمشاكل النطقية واللسانية ومعاني الأبنية في المصادر والجموع والمذكر والمؤنث وغيرها .

ونحن إذ نبدأ بكتابة بحثنا هذا فقد قسمناه إلى مبحثين :

في الأول كان الدرس الصوتي ، فقد عالجنا فيه مشكلة نطق الضاد وصوتها بين القدماء والمحدثين ، وذكرنا الأحرف الأولى التي ينطق بها الطفل . ثم عيوب اللسان أو النطق . واقتران حروف العربية .

وفي المبحث الثاني كان الدرس الصرفي ، فقد درسنا بعض معاني الأبنية أبنية الأسماء والأفعال التي ذكرها الجاحظ والاشتقاق الصرفي والمذكر والمؤنث وجمع التكسير بين القلة والكثرة وأسماء الجمع والتسمية بجمع المؤنث فضلاً عن الشواهد العربية ومزاوجة القديم والحديث ودراسة الآراء والترجيح بينها .

وهذا من فضل البحث وتدوين العلوم وكتابتها .

قال الجاحظ : ((**ولولا الكتبُ المدوَّنة والأخبار المخلّدة ، والحكم المخطوطة التي تُحصِّنُ الحسابَ وغيرَ الحساب ، لبطلَ أكثر العلم ، ولغلبَ سُلطانُ النِّسيان سُلطانَ الذكر ، ولَمَا كان للناس مفزعٌ إلى موضع استذكار . ولو تمَّ ذلك لحُرِمنا أكثرَ النفع إذا كنَّا قد علمْنا أنّ مقدار حفظ الناس لعواجل حاجاتهم وأوائلها ، لا يبلغ من ذلك مبلغاً مذكوراً ولا يُغني فيه غَنَاءً محمودا**))[1] .

المباحث الصوتية

مخارج الحروف:

(١) الحيوان : ٤٧/١ .

مُخرج الضاد:

قال الجاحظ : ((**فأمّا الضّاد فليست تخرج إلا من الشَّدق الأيمن إلا أن يكون المتكلم أعسراً أيسراً ، مثل عمر بن الخطاب (رحمه الله) فإنهُ كان يخرج الضّاد مِن أيِّ شِدقَيهِ شاء . فأمّا الأيمنُ والأعسَرُ والأضْبَطُ فليس يمكنهم ذلك إلاّ بالاستكراه الشديد .**)) (١)

إنَّ الضاد حرف شجري ، ذكر الخليل (رحمه الله) ذلك بقوله : ((الجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم))(٢)

فمخرجه من حافة اللسان اليمنى ، وقد يخرجه بعضهم من الحافة اليسرى وآخرون ينطقونه من الجانبين ، ففيه إنحراف كما في اللام ، هذا ما ذكره القدماء ، فضلاً عن أنه حرف رخوٍ لا شديد ، لكن المحدثين يعدونه شديداً مجهوراً منطبقاً(٣).

قال سيبويه : ((الضاد الضعيفة تُتكلف من الجانب الأيمن ، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخفُّ ، لأنها من حافة اللسان مطبقة ، لأنك جمعت في الضاد تكلفُ الإطباق مع إزالته عن موضعه وإنما جاز هذا فيها ، لأنّك تحوّلها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين . وهي أخف لأنها من حافة اللسان ، وإنها تخالط مُخْرَجَ غيرها بعد خروجها ، فتستطيل حين تُخالِط حروف اللسان ، فَتسهُلَ تحويلها إلى الأيسر، لأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر إلى مثل ما كانت في الأيمن ، ثُمَّ تنسلُّ من الأيسر حتى تصل بحروف اللسان ، كما كانت كذلك في الأيمن .))(٤). فمُخرجها عنده ((مِن بين أوَّل حافةِ اللسان وما يليها من الأضراس مُخْرَجُ الضاد))(٥).

هذا ما أكده ابن جني بقوله : ((مِن أوَّل حافةِ اللسان وما يليها من الأضراس مُخْرَجُ الضاد ، إلاّ أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وان شئت من الجانب الأيسر)) (٦) .

يبدو أنَّ الجاحظ لمّا تعرض لمخرج الضاد أكد على أنه يتم من حافة اللسان اليمنى أو اليسرى ومن الشدقين الأيمن والأيسر ، ولاسيما عند المتكلم البليغ ، فهي عنده كاللام

---

(١) البيان والتبيين : ٦٢/١ .

(٢) العين : ٥٨/١ .

(٣) ينظر الوجيز في فقه اللغة : ١٨٥ .

(٤) الكتاب : ٤٣٢/٤-٤٣٣ .

(٥) المصدر نفسه : ٤/ ٤٣٣ .

(٦) سر صناعة الإعراب : ٦٠/١ .

جانبية ؛ لأن هواءَها ينحرف إلى جانبي الفم ؛ ولهذا فقد ضرب الرواة مثلاً لبلاغة عمر بن الخطاب (ﷺ) لأنه كان يستطيع أن يخرجها من أي شدقيه شاء ؛ لأنه أيسر وأعسر، وبذلك جاء قول بعضهم (الطجع) باللام بدلاً من الضاد في (اضطجع) (١) .

فضلاً عن هذا أنّ الضاد التي ذكرها سيبويه (الضعيفة) هي صوت فريد لم نجد له نظيراً في اللغات الجزرية التي هي أخوات العربية ، ولا أحد من العرب ينطق به الآن.

قال برجستراسر : ((فالضاد العتيقة حرف غريب جداً غير موجود حسبما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية ؛ ولذلك كانوا يمنون عن العرب بالناطقين بالضاد. ويغلب على ظنّي أنّ النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب غير أنَّ للضاد نطقاً قريباً منه جداً عند أهل حضرموت ، وهو كاللام المطبقة)) (٢).

ولهذا السبب فأنَّ الجاحظ قد قرر الصعوبة والعسر على اللسان عند النطق بها؛ لأنها (انفردت بالاستطالة ، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله ، فإنَّ ألسنة الناس فيه مختلفة) (٣) .

قال ابن الجزري: ((والحرف المستطيل ، هو الضاد ؛ لأنه استطال عن الفهم عند النطق به حتى اتصل بمُخرَج اللام ؛ وذلك لما فيه من القوة بالجهر والاطباق والاستعلاء)) (٤) .

ومهما يكن من الأمر فإنَّ الضاد لصعوبتها قد تتحول إلى الظاء عند النطق بها أو يكون هناك خلط بين صوتيهما ؛ ولهذا يجب إتقان الفصل بينهما.

ومن الخلط ما ذكره الجاحظ بقوله :

((كان رجلٌ بالبصرة له جارية تسمى ظمياء ، فكان إذا دعاها قال : يا ضمياء، بالضاد . فقال ابن المقفع : قل: يا ظمياء . فناداها : يا ضمياء . فلمّا غير عليه ابنُ المقفع مرتين أو ثلاثاً قال له : هي جاريتي أو جاريتك؟)) (٥) .

ولهذا قرر الدكتور كمال بشر بقوله :

---

(١) ينظر علم الأصوات : د. كمال بشر : ص ٢٥٦.

(٢) التطور النحوي للغة العربية : ١٨-١٩ .

(٣) الأصوات اللغوية : ٤٩.

(٤) النشر في القراءات العشر : ٢٠٥/١.

(٥) البيان والتبيين : ٢١١/٢ .

أنها((تشبه ذلك الصوت الذي هو وسط بين الضاد والظّاء في بعض اللهجات في البلاد العربية كالعراق والكويت أو بعبارة أدق لعلَّ ما ينطقه هؤلاء الناس في هذه المناطق أثر باقٍ من آثار الضاد القديمة أو هو تطور صوتي لها)) [١].

وقد تكون طاءً في عصي نطقها عند بعضهم ، أو خرجت بين صوتي الضاد والظاء كما أشار د. كمال بشر . الذي سبقه لهذا الرأي ابن يعيش بقوله :

((الضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم فربما أخرجوها طاءً وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا وربّما راموا إخراجها من مُخرَجها فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء)) [٢] .

يبدو أن هذا الخلط بين صوت الضاد والظاء والطاء جاء نتيجة لعصي صوت الضاد العربية القديمة على المتكلمين إلا من كانت لديه قدرة نطقية ومرونة بلاغية في عسر ويسر فيستطيع أن يخرجها من أحد جانبي لسانه وأضراسه إن شاء كما أشار الجاحظ إلى ذلك .

<u>الأحرف الأولى التي ينطق بها الطفل :</u>

قال الجاحظ :((**والميم والباء أول ما يتهيأ في أفواه الأطفال، كقولهم : ماما، بابا؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان ، وانما يظهران بالتقاء الشفتين**)) [٣].

يفهم من كلام الجاحظ أن الطفل لا يستطيع استعمال لسانه في بداية نطقه بل يستعمل شفتيه فهي أقرب إلى المتناول عنده ؛ لأنه يستعملها في الرضاعة ؛ فضلاً عن أن الميم والباء هي أقرب من أي حرف إلى النطق لسهولة تحريك الشفتين فيهما؛ لأنهما من الأحرف الشفوية .

قال الخليل : ((ثلاثة شفوية ، مخرجها من بين الشفتين خاصة . لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلاّ في هذه الأحرف الثلاثة فقط)) [٤].

وقال سيبويه : ((ومما بين الشفتين مُخرَجُ الباء ، والميم ، والواو)) [٥].

---

(١) علم الأصوات : ٢٥٨.

(٢) شرح المفصل : ١/١٢٧-١٢٨ .

(٣) البيان والتبيين : ١/٦٢ .

(٤) العين : ١/٥١-٥٢ .

(٥) الكتاب : ٤/٤٣٣ .

إنَّ الجاحظ قد رصدَ هذه الظاهرة اللغوية عند الطفل في وقت لم يتنبه إليها إلا علماء اللغة العربية الذين سبقوه نحو الخليل وسيبويه ؛ فالحضارة العربية اللغوية قد اهتمت في بدايات نطق الأطفال ورأت أن الطفل لا يستطيع أن يستعمل لسانه في أيامه الأولى عند النطق والتعبير عن حاجاته ؛ لأنه لا يستطيع السيطرة على عَضلته. بل استطاع أن يستعمل الشفتين في تحريك وإصدار بعض الكلمات التي هي أقرب إلى نفسه من غيرها نحو ماما وبابا ولها صلة بالرضاعة وبهذا تُعدُّ علماء العربية أول من رصد هذه الظواهر الصوتية وسبقوا الغرب في مئات السنين ، فنلاحظ أن الأوربيين في منتصف القرن الماضي ولا سيما في الخمسينيات منه قد ذكروا هذه الظاهرة على لسان لويس ومكارثي ، فينقل الدكتور صالح الشماع هذا بقوله : ((وهنا نقطة طريفة يشير إليها لويس (١٩٥١) ومكارثي (١٩٥٢) فقد لاحظ عند طفلة وأطفال ذكرهم اشترن أن كلمات الطفل الأولى مكونة من مقاطع مفردة أو مزدوجة تكون فيها غالبية الأحرف المتحركة من النوع الأمامي (شفوية: ب، م، و)...وتؤلف كلمات كالتالي ما– ما، با- با. ثم يذكر كيف أصبحت مقاطع كهذه جزءاً من التراث اللغوي للراشدين أنفسهم. مع أنها برأيه شبيهة بصرخات الطفل التلقائية وما هي إلا تعبيرات عن حالة الطفل فهي ذات صلة بحركات المصّ والرضاعة إذن فهذه الكلمات الأولى لم يقتبسها الطفل من الراشدين؛ وفي رأينا أنه لا يوجد داعٍ لاعتبارها الكلمات الأولى إلا إذا ارتبطت بمدلولات متفق عليها في الوسط وعندها يبدأ تفتح اللغة عند الطفل الصغير))[١].

اقتران الحروف العربية :

قال الجاحظ : ((**فأمّا في اقتران الحروف فإنَّ الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا بتأخير . والزاي لا تقارن الظّاء ولا الشين ولا الضاد ولا الذال ، بتقديم ولا بتأخير . وهذا باب كبير . وقد يُكتفى بذكر القليل حتى يُستدل به على الغاية التي إليها يُجرى**)) [٢].

في هذا القول رصد الجاحظ السلامة والفصاحة اللغوية للكلمة العربية في تناسق ألفاظها بعدم الاقتران بين الجيم والزاي وأخواتها من الحروف المجهورة[٣] . نحو الشين

---

(١) ارتقاء اللغة عند الطفل: ١١٧ .

(٢) البيان والتبيين : ٦٩/١ .

(٣) ينظر : الكتاب : ٤٣٤/٤ .

والذال والظاء والقاف والطاء والغين وغيرها ، فعند الاقتران فيما بينهما يكون نوعا من الثقل والغرابة في الكلمة العربية وهذا لا يحدث إلا في الألفاظ الأعجمية ؛ لأن الفصاحة العربية لا تقبل هذا ، وبهذا نستطيع أن نفرق بين الألفاظ العربية الأصلية والأعجمية الدخيلة .

((وهذه التفاتة ذكية ، لأن اللغة للعربية ذوقاً خاصاً في اقتران الحروف ، ولذلك لا نجد ما أشار إليه الجاحظ إلا في الألفاظ الدخيلة . وبهذه القاعدة يستطيع الباحث أن يعرف أصيل اللفظ العربي من دخيله .)) [١].

عيوب اللسان أو عيوب النطق :

ذكر الجاحظ عيوبا للنطق منها اللثغة التي تعتري كلام الصبيان وتكون في أربعة أحرف تدخلها لثغة هي القاف والسين واللام والراء ، والتعتعة التردد في الكلام، والتمتام عدم الإفصاح بالحاجة ، والعقلة الحبسة في اللسان ، واللكنة العجمة في اللسان، والحكلة عجز ونقص في آلة النطق .

هذه العيوب ذكرها غيره ولم يفصل بها نحو الخليل (رحمه الله) فقد ذكر اللثغة وقال فيها: ((الألثغ : الذي يتحوَّلُ لسانهُ من السين إلى التاء)) [٢] وقال ابن فارس : ((اللثغة في اللسان أن يقلب الراء غيناً والسين ثاء)) [٣] وعند الثعالبي : ((أن يغير الراء لاماً والسين ثاء في كلامه)) [٤]أمّا الجوهري فقد قال : ((اللثغة في اللسان ، هو أن يُصيِّر الراء غيناً أو لاماً ، والسين ثاءً، وقد لَثِغَ بالكسر يَلْثَغُ لَثَغَاً ، فهو ألثَغُ وامرأةٌ لثغَاءُ.))[٥] وقال ابن منظور : ((اللثغة أن تعدِلَ الحرفَ إلى حرف غيره ، والألثغ : الذي لا يستطيع أن يتكلم بالراء، وقيل : هو الذي يجعل الراء غيناً أو لاماً أو يجعل الراء في طرف لسانه أو يجعل الصاد فاء ، وقيل : هو الذي يتحوَّل لسانه عن السين إلى الثاء ، وقيل: هو الذي لا يتمُّ رفعُ لسانِهِ في الكلام وفيه ثقل ، وقيل : هو الذي لا يسهل الكلام، وقيل: هو الذي قصُرَ لسانُهُ عن موضع الحرف ولحق مَوضعَ أقرب الحروف من الحرف الذي تعثَّر

---

(١) البلاغة العربية عند الجاحظ : ٣٧ .

(٢) العين : ٤٠١/٤ .

(٣) معجم مقاييس اللغة : ٢٣٤/٥ مادة : لثغ .

(٤) فقه اللغة وأسرار العربية : ٧٢ .

(٥) الصحاح : مادة : لثغ .

لسانه عنه . والمصدرُ اللَّثَغُ . ولثَغَ لسانَ فلان إذا صَيَّرَهُ ألْثَغَ . ولَثِغَ بالكسر، يَلْثَغُ لَثَغاً ، والاسم اللَّثغةُ والمرأةُ لَثغاء . وفي النوادر : ما أشدَّ لَثَغَتهُ وما أقبح لُثْغَتَه! فاللَّثغةُ الفَمُ واللُّثغةُ ثِقَلُ اللسانِ في الكلام، وهو ألثَغُ بَيّنُ اللُّثغةِ ولا يقال بَيّنُ اللَّثغةِ، والله أعلم)) [١] .

وفي حين نرى الجاحظ يفصل في عيب اللُّثغةِ تفصيلاً يكاد أن يكون طبيباً عارفاً بتشريح اللسان ودورانه في الفم وكيف يتحرك عند النطق في بيان الأحرف التي تدخلها اللُّثغة أو عدم بيانها ، فقال :

((والذي يعتري اللّسان مما يمنع من البيان أمور : منها اللُّثغة التي تعتري الصّبيان إلى أن ينشَّئُوا ، وهو خلاف ما يعتري الشيخ الهَرِم الماجَ المسترخي الحَنك، المرتفع اللّثة ؛ وخِلافُ ما يعتري أصحاب اللَّكن من العجم ، ومن يُنشَأ من العرب مع العَجَم .)) [٢] .

ثمَّ يفصل أكثر في هذا العيب ويوضح صورة التداخل بين حروف اللُّثغة ومخارجها ولا سيما الرّاء التي تُعد من الحروف التي تدخلها أشدُّ لُثغة وهذا ظاهر قوله :

((ذكر الحروف التي تدخلها اللُّثغة وما يحظرني منها : وهي أربعة أحرف: القاف ، والسين ، واللام ، والراء .... فاللُّثغة التي تعرض للسين تكون ثاء ، كقولهم لأبي يكسوم : أبي يَكثوم ؛ وكما يقولون : بُثرَةُ ، وبثم الله ، إذا أرادوا ، بُسْرَة ، وبسم الله . والثانية اللُّثغة التي تعرض للقاف ، فإنَّ صاحبها يجعل القاف طاءاً ؛ فإذا أراد أن يقول : قلت له ، قال : طُلتُ له ؛ وإذا أراد أن يقول : قال لي ، قال : طال لي. وأمَّا اللُّثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها مَن يجعل اللام ياء فيقول بدل قول: اعتَلَلْتُ : اعتييت ، وبدل جَمَل : جَمَيْ . وآخرون يجعلون اللام كافاً ، كالذي عرض لعُمَر أخي هلال ، فإنه إذا أراد أن يقول : ما العلة في هذا ، قال مَكعَكَة في هذا . وأمّا اللُّثغة التي تقع في الراء فإنّ عددها يُضعف على عدد لثغة اللام ؛ لأن الذي يعرض لها أربعة أحرف : فمنهم مَن إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمي ، فيجعل الراء ياءً ومنهم مَن أراد أن يقول عمرو ، قال قال : عَمْغ ، فيجعل الراء غيناً . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمْذ ، فيجعل الراء ذالاً . وإذا أنشد قول الشاعر:

استبدَّت مَرَّةً واحدة إنّما العاجزُ مَن لا يستبدُّ

(١) لسان العرب : مادة : لثغ .

(٢) البيان والتبيين : ٧١/١ .

قال :

استبدَّت مَذَّةً واحدة إنّما العاجزُ مَن لا يستبدُّ

ومنهم من يجعل الراء ظاءً معجمة ، فإذا أراد أن يقول :

استبدَّت مظَّةً واحدة إنّما العاجزُ مَن لا يستبدُّ

ومنهم من يجعل الراء غينا معجمة ، فإذا أراد أن ينشد هذا البيت :

استبدَّت مغَّةً واحدة إنّما العاجزُ مَن لا يستبدُّ

كما إنّ الذي لُثغتهُ بالياء ، وأراد أن يقول : ((استبدَّت مَرَّةً واحدة)) يقول : ((استبدَّت ميَّةً واحدة)) .... و اللُّثغة التي في الراء إذا كانت بالياء فهي أحقرهُنَّ وأوضعهُنَّ لذي المروءة ، ثم التي على الظاء ، ثم التي على الذال ، فأما التي على الغين فهي أيسرهُنَّ)) [١] .

ومن عيوب اللسان الأخر هي التعتعة ، والتمتمة ، وقد ذكرها غير الجاحظ ، فقال الخليل : ((أن يَعْبَأ الرجلُ بكلامه ويتردَّدُ من عِيٍّ أو حَصَر . ويقال : ما الذي تَعْتَعهُ ؟ فتقول : العيُّ))[٢].

وقال أيضاً : ((والتمتمة في الكلام ألا يُبَيِّنُ اللسانُ ، يخطئ موضعَ الحرف فيرجع إلى لفظٍ كأنه التاء والميم)) [٣] . وقد أشار إلى ذلك ابن فارس بقوله : ((يقال تَعْتَعَ الرَّجلُ إذا تَبَلّدَ في كلامه)) [٤] . ولم يذكر ابن فارس التمتمة عند ذكره مادة (تمَّ) [٥]. أما الثعالبي فقد عدَّ التمتمة:((أن يتردد في التاء)) [٦]. وكرر الجوهري رأي الخليل في التعتعة على

---

(١) البيان والتبيين : ١/٣٤-٣٥-٣٦ .

(٢) العين : ١/٨٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٨/١١١ .

(٤) معجم مقاييس اللغة مادة : تع .

(٥) ينظر المصدر نفسه : مادة : تمَّ .

(٦) فقه اللغة وأسرار العربية : ٧٢ .

أنها: ((التردُّد من حصر أو عيّ)) [١] في حين قال في التمتمة: ((والتمتام: الذي فيه تمتمةٌ ، وهو الذي يتردَّد في التاء)) [٢].

أمّا الجاحظ فقد فصل في هذين العيبين ورصدهما بفكره الثاقب فقد نقل عن الأصمعي وأبي عبيدة رأيهما توكيداً وتعميماً للفائدة بقوله : ((قال الأصمعي : إذا تعتع اللسانُ في التاء فهو تمتام ، وإذا تعتع في الفاء فهو فأفاء . وأنشد لرؤبة بن العجاج :

بأحَمْدَ ذاتَ المنطق التمتام كأنَّ وَسْواسَكِ في اللِّمام

حَديثُ شَيطانِ بني هِنّامِ

وبعضهم ينشد :

بأحَمْدَ ذاتَ المنطق التَّمتَامِ

وليس ذلك بشيء ، وإنما هو كما قال أبو الزَّحف :

لستَ بفأفاءٍ ولا تمتامِ ولا كثير الهُجْرِ في الكلام

وأنشد أيضاً للخولاني في كلمة له :

إنَّ السيَّاط تركنُ لاستِك منطقاً كمقالة التمتام ليسَ بمعْرِبِ

فجعل الخولاني التمتام غير مُعْرِب عن معناه ولا مفصح بحاجته . وقال أبو عبيدة:((إذا أدخل الرَّجلُ بعض كلامه في بعضٍ فهو ألفٌ ، وقيل : بلسانه لفَفٌ)) [٣].

والألف أو اللفف هو التمتمة في الكلام أو العي والعسر ، أو أنّ اللسانَ غيرُ معربٍ كلاماً ، فهو التمتام .

قال أبو زيد : ((وَقالوا أَلْفَهُ مِنَ الرّجالِ العيُّ اللسان . وَالأَلْفَتُ في كلامِ بني تميمٍ الأعْسَرُ ، وَالأَلَفُ العَيِيُّ اللِّسانِ.)) [٤] .

وقال المبرد : ((والَّفَفُ : إدخالُ حرفٍ في حرف)) [١] .

---

(١) الصحاح : مادة : تع .

(٢) المصدر نفسه : مادة : تمم .

(٣) البيان والتبيين : ٣٧/١-٣٨ .

(٤) النوادر في اللغة : ١٧٠ .

يبدو أن الجاحظ فيما نقله عن الأصمعي وغيره يرى أن التمتمة في حصر نطق التاء والفأفأة في حصر نطق الفاء ، أو كأنَّ التمتمة هي تعتعة في نطق التاء فهي على شاكلتها ، أو أنَّ الرجل غير معرب في كلامه كما هو الحال عند نطق الأعجمي فهي عيي وعسر .

قال المبرد : ((التمتمة : التردُّد في التاء . والفأفأة التردُّد في الفاء)) [٢] .

ومن عيوب اللسان أيضاً (الحُبسة) التي لم يذكرها الخليل وابن فارس والجوهري في مادة (حبس)[٣]. وقد ذكرها المبرد بقوله: ((والحُبسة : تَعَذُّرُ الكلام عن إرادته))[٤].

أمّا الجاحظ فقد عدّها ثقلاً في الكلام ، لكنّها لا تبلغ الفأفأة والتمتمة ، أو هي منعٌ في البيان ، هذا ظاهر قوله : ((**ويقال : في لسانه حُبسة إذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حدّ الفأفأة والتمتام**)) [٥]. وقوله : ((**ويقال : في لسانه حُبسة إذا كان في لسانه ثقلٌ يمنعه من البيان**)) [٦].

ومن العيوب (العُقلة) وهي أن يحبس اللسان في الكلام ، لم يذكرها الخليل في مادة (عقل) [٧] .وقد ذكرها سيبويه في معنى (المعقول) بقوله: ((وكذلك المعقول ، كأنّهُ قال: عُقلَ له شيء أي حُبسَ له لُبّهُ وشُدّد)) [٨].

أما ابن السكيت فقد عدّها عدم الإبانة في النطق وعدم الإفاضة ، بقوله : ((يقال : قد اعتُقلَ لسانُ فلان فما يُبينُ كلمة واعتُقلَ لسانُه فما يُفيضُ كلمةً)) [٩].

في حين أن الجوهري قد نقل قول سيبويه المعنى فقط ولم يعقب علية [١٠].

---

(١) الكامل للمبرد : ٢٢١/٢ .

(٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة نفسها .

(٣) ينظر العين : ١٥١/٣ ، ومعجم مقاييس اللغة والصحاح : مادة :حبس .

(٤) الكامل للمبرد : ٢٢١/٢ .

(٥) البيان والتبيين : ٣٩/١ .

(٦) الحيوان : ٢١/٤ .

(٧) ينظر العين : ١٥٩/١-١٦١.

(٨) الكتاب : ٩٧/١ .

(٩) إصلاح المنطق لابن السكيت : ٤٣٢ .

(١٠) ينظر الصحاح : مادة :عقل .

وفي ضوء هذا نرى أنَّ الجاحظ قد نقل معنى قول سيبويه ، في ظاهر قوله: ((ويقال: في لسانهِ عُقلةٌ ، إذا تعقّل عليه الكلام.)) (١).

والحُكْلَة من العيوب الصوتية التي عدّها الخليل (رحمه الله) العجمة فـ ((تقول في لسانه حُكلة أي عجمة)) (٢). وابن فارس قد عدّها أيضاً من العجمة(٣). والجوهري قال هي العجمة التي لا يبين فيها صوت ، بقوله : ((الحُكلُ : ما لا يُسمَعُ له صوت.... ويقال : في لسانه حُكلَة أي عُجمة لا يُبينُ الكلام)) (٤).

في حين عدّها الجاحظ نقص في أداة النطق وعجز فيه ، فضلاً عن عدّها عجمة أيضاً ، فقد فصل هذا في قوله : ((**فإذا قالوا : في لسانه حُكلة فإنما يذهبون إلى نُقصان آلة النطق ، وعجز أداة اللفظ ، حتى لا تُعرف معانيه إلاّ بالاستدلال . فقال رؤبة بن العجاج :**

لو أنني أُوتيتُ عِلْمَ الحُكلَ عِلْمَ سليمانَ كلامَ النملِ)) (٥)

وقوله : ((**فإذا كان الثقل الذي في لسانه من قبل العجمة قيل : في لسانه حُكلة. والحُكلُ من الحيوان كله ما لم يكن له صوت يستبان باختلاف مخارجه عند حرجه وضجره وطلبه ما يغدو ، أو عند هياجه إذا أراد السَّفاد ، أو عند وعيد لقتال وغير ذلك من أمره))** (٦) .

أمّا اللكنةُ فهي عيبٌ في لسان الذي فيه العجمة أصلاً وتأثراً في مخالطة الأعاجم فينطق بالمذكر ويعني به المؤنث وبالعكس . قال الخليل: ((اللّكنة، عجمة الألكن، وهو الذي يؤنث المذكر ويذكر المؤنث ، ويقال : هو الذي لا يُقيم عَرَبيته ؛ لِعُجْمَةٍ غالبةٍ على لسانه، وهو الألكنُ)) (٧).

---

(١) البيان والتبيين : ٣٩/١.

(٢) العين : ٦٣/٣ .

(٣) ينظر معجم مقاييس اللغة : مادة : حكل .

(٤) الصحاح للجوهري : مادة : حكل .

(٥) البيان والتبيين : ٤٠/١ .

(٦) الحيوان : ٢١/٤ .

(٧) العين : ٣٧١/٥ .

وقال المبرّد : ((واللُّكنةُ : أنْ تَعْتَرض على الكلام اللغة الأعجمية)) [١] .

أمّا الزمخشري فقد عدّها عيّاً في الكلام ، ففي لسانه لُكنة أي عيٌّ ، وتلاكن في كلامه ونطقه ، أرى من نفسهِ اللُّكنة ليُضحِكَ الناس[٢] . فكأنه أراد أن يبين أنه يستطيع النطق بسلامة لكنّه لا يظهر كلامه سليماً لوجود عيّ في نطقه .

في حين أنّ الجاحظ عدّها نطق الحروف الأعجمية فضلاً عن الحروف العربية في الكلمة نفسها ، وهذا الخلط الصوتي يولد نوعاً من اللُّكن ، يحدث نتيجة لعدم استطاعة نطق بعض الحروف بسبب الخلط الذي تتعرض له الة النطق . فقال : ((**يقال في لسانهِ لَكنَةٌ ، إذ أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب ، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول**)) [٣] .

أراد الجاحظ بهذا الخلط في نطق حروف العجم وحروف العرب ، ليدلل على أنّ بعض الشعراء والخطباء العظماء الذين عاشوا في بيئة أعجمية قد أبدلوا بعض الحروف العربية بحروف أخرى لعدم استطاعتهم النطق بها ، فمنهم : (زياد الأعجم) الشاعر الذي كان فصيح الشعر لكنه يجعل السين شيناً والطاء تاء فيقول : (الشُلتان) في كلمة (السُلطان) عند انشاده قوله :

فتى زادهُ السُلطان في الودِّ رفعةً إذا غيّر السُلطان كلَّ خليل [٤]

فضلاً عن هذا فقد ذكر الجاحظ آخرين قد وقعوا في اللّكنة وهم شعراء وخطباء وفصحاء وقد فصّل في لكنهم بقوله : ((**ومنهم سُحيم عبد بني الحسحاس ، قال له عمر بن الخطاب** (رضي الله عنه) **وأنشد قصيدته التي يقول أولها:**

عُميرةَ وَدّعْ إنْ تجهزت غادياً كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

فقال له عُمر: لو قدَّمت الإسلام على الشّيب لأجزتك . فقال له : ما سَعرتَ ، يريد ما شَعرتَ ، جعل الشين المعجمة سيناً غير معجمة . ومنهم عُبيد الله بن زياد والي العراق، قال لهانئ بن قبيصة : أهَرَوريٌّ سائر اليوم ! يريد : أحَرُوري . ومنهم: صُهيب

---

(١) الكامل للمبرد : ٢٢١/٢ .

(٢) ينظر أساس البلاغة : للزمخشري : ٣٥٣/٢ .

(٣) البيان والتبيين : ٣٩/١-٤٠ .

(٤) ينظر المصدر نفسه : ٧١/١ .

بن سنان النّمر صاحب رسول الله (ﷺ) كان يقول : إنّك لهائن ، يريد : إنّك لحَائن – أي هالك – وصُهيب بن سنان يرتضخ لُكنة رومية ، وعبيد الله بن زياد يرتضخ لُكنة فارسية ، وقد اجتمعا على جعل الحاء هاءً)) [١] .

فجعل الطاء تاءً والشين سيناً والحاء هاءً يُعدُّ كلّه لُكنة لتأثير العجمة على ألسنة المتكلمين الذين هم أصلاً فصحاء ولكنّهم خالطوا البيئات الأعجمية ، فضلاً عن ذلك إن هذا لم يختصر على هذه الحروف فقط وإنّما في حروف أُخر كإبدال الذال دالاً والجيم ذالاً ، روى ذلك الجاحظ أيضاً في بعض نوادره وقصصه بقوله : **((ركبتْ عجوز سندية جملاً ، فلما مضى تحتها متخلعاً اعتراها كهيئة حركة الجماع ، فقالت : هذا الذّمل يذكرنا بالسر ، تريد أنه يذكرها بالوطء ، فقلبت الشين سيناً والجيم ذالاً وهذا كثير . وقالت أمُّ ولدٍ لجرير بن الخطفي ، لبعض أولادها : وقع الجُردان في عِجان أمُّكم ، فأبدلت الذّال من الجُرذان دالاً وضمّت الجيم وجعلت العجين عجاناً.))** [٢] .

فقد رصد الجاحظ هذه الظاهرة الصوتية في لُكن الحروف حتى أنه ذهب إلى اللُّكن في الحركات عندما قال : **(وضَمّت الجيم)** من الجُرذان ، فكأنه عدّها لُكنةً بتأثر لغة العجم في ألسن الفصحاء ؛ لأن جمع (جُرَذ) الذي هو ضرب من الفأر (جِرذان)، بالكسر فالفصيح في الكلمة كسر الجيم لا ضَمّها[٣] .

يفهم من هذا ان الجاحظ يعد اللكن بمعنى اللحن وهو بهذا يختلف عن الخليل وغيره الذي يعده بمعنى العجمة في لسان الذي يؤنث المذكر ويذكر المؤنث .

المباحث الصرفية: معاني الأبنية

أبنية الأفعال :

فَعِلَ وأفْعَلَ : كَدِيَ و أَكْدَى:

قال الجاحظ : **((يقال : كَدِيَ الجرُو يكدَى كدًى، وهو داءٌ يأخذ الجراء خاصةً، يُصيبها منه قيءٌ وسعال ، حتى تُكوى بين عينيها . ويقال : أكدى الرجلُ إكداء: إذا لم يظفر بحاجتِه . والكُدْيَة من الأرض : ارتفاع في صلابة ، ويقال في الماء حفرَ فأكدى))**[١] .

---

(١) البيان والتبيين : ١/٧١-٧٢ ، وينظر الكامل للمبرد : ٢/٢٢٥-٢٢٦ .

(٢) البيان والتبيين :١/٧٣-٧٤ ، وينظر الحيوان : ٣/٢٩٢ .

(٣) ينظر الصحاح : للجوهري : مادة : جرذ .

إنَّ فَعلَت وأفعلت تفترق في المعنى عند زيادة همزة التعدية على (فَعِل) نحو: شَرِقَت بَدَت، وأشرَقَتْ : أَضاءَت[١] . فالمعنيان مختلفان بين الظهور والإضاءة .

قال سيبويه: ((هذا باب افتراق فَعَلت وأفعلت في الفِعْل للمعنى تقول: دَخَل وخَرَج وجَلَس، فإذا أخبرت أن غيره صيَّره إلى شيء من هذا قلت: أخرَجَهُ وأدخَلَهُ وأجلَسَهُ))[٢].

إنَّ سيبويه قد ذهب إلى هذا المعنى في ضوء قول الخليل وما ذهب إليه بخصوص إلحاق الألف على فعلتُ فيعطي معنىً آخر . نحو غفلت وأغفلت فالأول بمعنى صرت غافلاً والثاني بمعنى الإخبار في الغفلة .

جاء في الكتاب : ((وقد يجيء فَعَلْتُ وأفعلتُ المعنى فيهما واحد ، إلاّ أنَّ اللغتين اختلفتا ، وزعم ذلك الخليل ، فيجيء به قوم على فعلت ويلحق قوم فيه الألف فيبنونه على أفعلت ، كما أنه قد يجيء الشيء على أفعلت لا يستعملُ غيره وذلك قِلته البيع وأقلته ... وتقول : غَفِلتُ ، أي صرْتُ غافلاً . وأغفلتُ إذا أخبرتُ أنك تركت شيئاً ووصلتَ غفلتك إليه)) [٣] .

يبدو أنَّ سيبويه في هذا المضان يتحدث عن أنَّ الفعل إذا وضعت له الألف في بدايته تعدى إلى غيره وأفعله غيره ، فضلاً عن أنه اعتمد على رأي الخليل الذي أشار فيه إلى اتفاق البناءين ابتداءً لكنهما قد يختلفا في المعنى أو يتفقا بسبب التداخل في الاستعمال اللغوي لدى لهجات العرب الذي سمّاه ابن جني بتركيب اللغات[٤] .

في حين إنَّ ابن درستويه في شرح الفصيح قد ذهبَ إلى أنّهما لا يكونا بمعنى واحد ولا بناء واحد في لغة واحدة إلا من لغتين مختلفتين . بقوله : ((لا يكون فَعَلَ وأفعل . بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد ، إلاّ أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين ، فأمّا من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظنُّ كثير من اللغويين والنحويين ، أو إنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ما جرت به عاداتُها وتعارفُها . ولم يعرف السامعون لذلك العلة فيه والفروق ؛ فظنّوا أنّهما بمعنى واحد ، وتأوَّلوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم ؛ فإنْ كانوا قد صدَقوا في رواية ذلك عن العرب فقد أخطئوا عليهم في تأويلهم ما لا يجوز في الحكمة ، وليس يجيء شيء من هذا الباب إلاّ على لغتين متباينتين كما بيّنا ، أو يكون على معنيين مختلفين)) [٥] .

---

(١) ينظر الكتاب : ٥٦/٤ .

(٢) الكتاب : ٥٥/٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٦١/٤ .

(٤) ينظر الخصائص : ٣٧٤-٣٨٥ .

(٥) المزهر : ٣٨٤/١ .

يبدو أنَّ ابن درستويه لا يتفق مع من ذهب إلى أنَّ فعلَ وأفعلَ يأتيان بمعنى واحد وإنما يذهب إلى أنهما يختلفان في المعنى إذا وردا في لغة واحدة أمّا إذا حصلا في لغتين فجائز أن يكونا على معنى واحد أو معنيين مختلفين وهو بهذا يؤكد على أن اختلاف اللهجات له الأثر في اختلاف المعنى بينهما .

أمّا ابن خالويه فقد ذهب إلى أنَّ أفعلَ فيه معنى التعدية لـ (فعل) عندما تزاد له الهمزة في أوله . فقال : ((إنَّ جميعَ كلام العرب إنَّما يجب أن يقال فعل الشيء وأفعله غيره مثل : جلس زيد وأجلسه غيره)) [١] .

في حين أنَّ الجاحظ تنبه إلى أنَّ في بناء أفعل معنىً آخر غير التعدية ، وهو بهذا ذهب إلى الاختلاف في المعنى بين البنائين فالفعل (كَدِيَ) أصيب الكلب بمرض ، في حين معنى (أكدى) لم يظفر الرجل بحاجته أو بمعنى القوة والصلابة ، وهذا من باب التوسع في الاستعمال اللغوي عند العرب بسبب اختلاف لهجاتهم . قال الخليل: ((أكدى الحافِرُ أي بلغ الصُّلبَ من الأرض . وأكدَى الرَّجلُ إذا أعطى قليلاً)) [٢].

وأبو زيد قد ذهب في معنى أكدى إلى الغلبة والقهر بين الرجلين بقوله: ((ويقال للرجل عند قهر صاحبه له : أكْدَتْ أضفارُك أي صادفت أضفارك كَدُية وهي الصفة الغليظة العظيمة)) [٣] .

أمّا أبو بكر الأنباري فقد عدّه بمعنى قطع العطاء معتمداً على قول أبي العباس في معنى طلب الماء وطريقة الوصول إليه ، بقوله : ((قولهم : قد أكدى فلانٌ : معناه : قد قطع الماء وأيس من خبره ، قال أبو العباس : "؟ الأصلُ في هذا أن يحفر البئر يطلب الماء فإذا بلغ إلى موضع الصلابة ويئس من الماء قيل : أكدى فهو مُكد . ويقال لها الكُدية ، والجمع كُدى ، قال الشاعر:

فتى الفتيان ما بلغوا مداهُ ولا يُكدى إذا بَلَغت كُداها

أي إذا يئس من خير الفتيان لا ييأس من خيره . وقال الله عزَّ وجلَّ وهو أصدق قيلاً : ﴿ وأعطى قليلاً وأكدى ﴾ (النجم : ٣٤) أي أمسك عن العطية وقطعها)) [٤].

---

(١) ليس في كلام العرب : ٢٥.

(٢) العين : ٣٩٦/٥ .

(٣) النوادر في اللغة : ١٣٥ .

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس : ٤٩٠/١ .

وقد ذهب إلى هذا المعنى الزجاج في قوله تعالى : ﴿ وأكدى ﴾ بمعنى قطع الحفر عندما يُبلغ الكُدية التي تمنع الحافر من الاستمرار[١] .

في حين نرى أنَّ الذي ذهبَ إليه الجاحظ في معنى (كَدِيَ) بالكسر ولا سيما الاسم منه (كدًى) بمعنى داء يصيب جرو الكلب قد أكد معنى فَعِل الذي يفترق عن معنى أفعل، فالأول (داء) وهو اسم ، في حين يأتي الثاني بمعنى قلَّةَ الخير والعطاء وما يعانيه الرجل عندما يلاقي صعوبة في طلب الماء وملاقاة الكدية .

قال الجوهري : ((كِدَى الرجل بالكسر يَكْدَى كدًى ، هو داء يأخذ الجراء خاصّة، يصيبها منه قيءٌ وسعالٌ حتى يكوى بين عينيه ، وكَدِيت أصابعهُ أيضاً ، أي كلَّت من الحفر ، وكدِيَ الفصيل كدًى إذا شرب اللبن ففسد جوفه ، وأكديتُ الرجلَ عن الشيء رددتهُ عنه . وأكدى الرجلُ إذا قلَّ خيره))[٢] .

إنّ التوسع في المعنى حصل نتيجة إيجابية للبناء الجديد في (أفعل) فبعد أن كان كَدِى كدًى بمعنى أصابه مرض اسمه (كدًى) أو بمعنى أُكلت أصابعه من الحفر ؛ أصبح في (أكدى) لمعاني أُخر نحو : الذود عنه بردّ الشيء كي يظفر الرجل بحاجته وقلَّة الخير وانقطاع ذلك القليل ، والجحد والإنكار والإمساك بعد العطاء ، وهذه المعاني عدّها الزمخشري من باب المجاز اللغوي لبناء أفعل في (أكدى)[٣].

فَعَلَ أفْعَل : هَوَت العُقابُ وأهوت لَهُ :

قال الجاحظ : ((**ويقال هوت العُقابُ تهوي هُويّا :إذا انقضت على صيد أو غيره ما لم ترغه ، فإذا أراغته قيل أهوت له إهواءً . والإهواء أيضاً التناول باليد**))[٤].

يبدو أنَّ الجاحظ قد وصف (العُقاب) عند صيده لفريسته في ضوء حركته وانقضاضه على تلك الفريسة . فإن كان صيده من دون إراغة وانقضاض مباشر فيستخدم الفعل (هَوَى يَهوِي) بوزن (فَعَلَ) ، أمَّا إذا كان فيه إراغة لصيده ومراوغة لفريسته فيستعمل الفعل (أهوى) بوزن (أفعل) ؛ لأنَّ المعنى بقدر المبنى . ولكلِّ فعل زمن وجهد ، فعندما لم يكن العقاب مجتهداً ومراوغاً في القضاء على فريسته ، فإنَّ زمن فعله أقل وجهده أضعف

---

(١) ينظر معاني القرآن وإعرابه : ٦١/٥.

(٢) الصحاح : مادة : كدى ، وينظر : لسان العرب : مادة : كدى .

(٣) ينظر : أساس البلاغة : ٣٠٠/٢ مادة : كدى .

(٤) الحيوان : ٣٣٣/٦ .

فيستعمل الفعل هَوَى بوزن فعل بقدره . أمَّا إذا اجتهد به وراوغه فيحتاج إلى زمن أكثر وجهد أقوى ولهذا أضيفت الهمزة إلى الفعل (أهوى) حتى يتلاءم مع الزمن والجهد .

في حين أنَّ الخليل قد ذكر هذا ولم يفصل فيه كالجاحظ فاكتفى بذكر دلالة الفعل على سقوط الطائر في (فعل) وأخذ الشيء في (أفعل) بقوله : ((هَوَى الطائرُ يَهوِي هُوياً ... ويقال : هَوى يَهوِي هَوَياناً ، ورأيتهم يَتَهاوَوْنَ في المَهواة إذا سقط بعضُهم في إثر بعض . وتقول : أهوى إليه فأخذه ، أي : أهَوَى إليه يَدَه)) [١].

ونرى الأصمعي قد سبق الجاحظ في استعمال البناءين وأشار إليهما في ضوء قول زهير بن أبي سلمى :

أهْوَى لها أَسْفَعُ الخدَّينِ مُطرِقٌ ريشَ القَوَادِمِ لم تُنصَبْ له الشَّرَكُ[٢]**؟**

وقد ذكر ذلك ثعلب بقوله : ((الأصمعي : "هَوَى لها" وقال : هَوَى : انقَضَّ . وأهْوَى : أومأ لها ، أراد الصقر أن يأخذها)) [٣]. فالأصمعي ينكر استعمال (أهوى) بمعنى هَوَى ، على الرغم من أنَّه قَدْ أجازه غيره في قول زهير [٤].

أمّا ابن الأعرابي فقد جعل الفرق بين البناءين البعدَ والقرب بقوله : ((هَوَى إليه من بُعد ، وأهوى إليه من قُرب ، وأهويت له بالسيف وغيره.)) [٥].

وهذا قريب إلى معنى الجاحظ في (هَوَى البعيد) و (أهوى القريب) . ولهذا عدَّ السجستاني (هَوى) بمعنى القصد إلى الشيء ، و(أهوى) بمعنى أشار إليه[٦]؛ لأنه بعيد فقصده للوصول إليه ، وقريب فأشار إليه .

---

(١) العين : ١٠٥/٤ .
(٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ١٧٢ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) لسان العرب : مادة : هوى .
(٥) لسان العرب : مادة : هوى .
(٦) فعلت وأفعلت : ١٥٣-١٥٤ .

في حين أنَّ أبا بكر الأنباري قد عدَّ هَوَى يَهوِي بمعنى السقوط من فوق إلى أسفل ، وأهويته ألقيته إلى أسفل ، أمَّا (أهوى) بمعنى أومى إليه بالسيف وقد أشار إليه بالطعنة التي تهوِي إذا فتحت فاها بالدم[١] .

وتابع الزمخشري الخليل بقوله : ((وتهاووا فيما بينهم تساقطوا ، وأهَوَى بيده إلى الشيء ليأخذه)) [٢].

ومهما يكن من الأمر فإنّ الذي قد ذهب إليه الجاحظ هو الأوْلى والأقرب إلى الاستعمال اللغوي ؛ لأنه يتفق مع زمن وجهد ووقت الفعل في العربية ، فضلاً عن أنَّ الأصمعي قد ذهبَ إليه من قبلُ ، وقد نقل ابن منظور نصَّ الجاحظ ولا سيما حركة المراوغة وانقضاض العُقاب على فريسته ، ورأي ابن الأعرابي قريب إلى رأي الجاحظ في (هَوَى) سقط من أعلى إلى أسفل بسرعة و (أهوى إليه) راغه وأخذه عن قرب .

معاني أبنية الأسماء:

فِعْلٌ و فَعْلٌ : سِرْبٌ و سَرْبٌ :

قال الجاحظ : ((**ويقال سِرْبُ نساء وسِرْبُ قَطا ، وسِربُ خطباء . كلُّ ذلك بكسر السين واسكان الراء . فإذا كان من الطريق والمذهب قالوا : خَلَّ سَرْبَهُ ، وفلان خَلِيُّ السَّرْب بفتح السّين واسكان الراء ، وهذا عن يونس بن حبيب.**)) [٣].

إنَّ الذي أشار إليه الجاحظ قد ذهبَ إليه النحاة واللغويون نحو : الخليل بقوله : ((السَّرْبُ : مال القوم ، والجمع السُّرُبُ قال :

لعلَّ الخَيلَ تَعجِلُ سَرْبَ تَيمٍ .....

والسِّربُ : قطيعٌ مِن الظِّباء والجواري والقَطا .... وانسَرَبَ الماءُ في موضع سَرْب أي قَطْعٍ ... وقوله تعالى : ﴿ فاتخذَ سَبيلَهُ في البَحرِ سَرَباً﴾ (الكهف : ٦١) أي دخولاً في الماء)) [٤].

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس : ٤٠١/٢ .

(٢) أساس البلاغة : مادة : هوى : ٥٥٦/٢ .

(٣) الحيوان : ٥٧٩/٥ .

(٤) العين : ٢٤٨/٧-٢٤٩ .

يبدو أنَّ الجاحظ اتفق مع الخليل في كسر السين واسكان الراء مع الذات والجثة نحو : سِرْبُ قَطا ، أمّا في الطريق فقد اتفق أيضاً مع الخليل في فتح السين واسكان الراء وقد زاد الخليل في فتح السين واسكان الراء كما في النص القرآني من سورة الكهف المذكور .

في حين أنَّ ابن السكيت قد ذهب إلى أنَّ فتح السسين وسكون الراء بمعنى الطريق والمال وفي الكسر يدل على القطيع والنفس وبهذا اتفق مع ما ذهب إليه الجاحظ . وقد استعمل (سَرْب) بالفتح مع المال والجمال خلافاً للذات من الحيوان والإنسان[١] .

إنَّ ما أشار إليه الجاحظ وابن السكيت هو المستعمل في العربية الفصحى ولا سيما استعمال شعراء العربية نحو قول محمد بن عبد الله الثقفي [٢]:

لم ترَ عيني مثلَ سِرْبٍ رِأيته خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابنِ واقِفِ

قال المبرد : ((قوله : " **مثلَ سِرْبٍ رِأيته** " ، هو القطعة من النسّاء أو من الظّباء أو من البقر ، أو من الطير : كما قال :

لم ترَ عيني مثلَ سِرْبٍ رِأيته خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابنِ واقِفِ

فهذا يعني النسّاء)) [٣].

وفي فتح السين (سَرْب) يشار به إلى المذهب أو الطريقة ، قال قيس بن الخطيم:

أنَّى سَرَبْتِ وكنتُ غيرَ سَرُوب وتُقرِّبُ الأحلامُ غيرَ قريب

((فالسَّرْبُ : الطريق ، عن أبي زيد . يقال : خَلّ له سَرْبَهُ . قال ذو الرُّمَّة :

خَلَّى لها سَرْبَ أُولاها وَهَيَّجَها مِن خَلْفِها لاحِقُ الصُقلَينِ هِمْهيمُ))[٤]

يبدو أنَّ فتح السين وسكون الراء اللغة المستعملة بإطراد في معنى الطريق والمسلك والمذهب بدليل قول الرسول (ﷺ) : ((مَن كان آمناً في سَرْبِهِ ، مُعافى في بَدَنِهِ ، عندَه

---

(١) ينظر : إصلاح المنطق : ١٣ .

(٢) الكامل للمبرد : ٢٢٧/٢ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) الصحاح : مادة : سَرِبَ .

قوتُ يَومِهِ ، كان كمَن حِيْزَت له الدُّنيا بِحَذافيرها.)) ومنه حديث ابن عمرو : ((إذا ماتَ المُؤمن نَخلَّى له سَرْبُه يَسْرَح حيثُ شاء)) أي طريقُهُ مذْهَبُهُ الذي يمرُّ فيه)) [١].

فَعْلٌ فَعِّلٌ : أيْمٌ و أيِّمٌ :

قال الجاحظ : ((**وقال الأصمعي : يقال للحيَّة الذَّكر أيِّم وأيْم ، مثقَّل ومخفف نحو ليِّن وليْن ، وهيِّن وهيْن ، قال الشاعر :**

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أيسارٌ ذوو يَسرٍ سَوَّاسُ مَكْرُمَة أبناءُ أَيْسارِ

وانشد في تخفيف الأيم وتشديده :

ولقَد وَرَدْتَ الماء لَم تَشْرَبْ بِهِ زَمَنَ الرَّبيع إلى شهور الصَّيِّفِ

إلاَّ عَوَاسِرُ كالمِراطِ مُعِيدَةٌ باللَّيلِ مَوْرِدَ أَيّم مُتغضِّف))[٢]

إنَّ ما ذكره الجاحظ نقلاً عن الأصمعي يخالف ما قال به الخليل (رحمه الله) ؛ لأنّه يعدُّ المخففة (أيْم) صفة للحية ، أمَّا المثقلة (أيِّم) فصفة للمرأة بقوله : ((**الأيْمُ من الحيّات: الأبيض اللطيف ، قال :**

كأنَّ زمامها أيْمٌ شجاعُ تَرَأدَّ في غُضونٍ مُعْضئِلَّهْ

شبه تحريك الزّمام بحيّة بين أغصان متشابكة .... وامرأة أيِّم قد تأيَّمَت ، إذا كانت ذات زَوج ، أو كان لها قبل ذلك زوج فمات ، وهي تصْلَحُ للأزواج ؛ لأنَّ فيها سُؤرةً من شباب)) [٣] .

في حين أنّ أبا زيد قد ذهب إلى أنَّ المخففة (أيْم) هي نوع من الحيّات[٤]. فـ (أينْ) لغة بني تميم[٥]. التي تجعل النون بدلاً من الميم لقرب صوتيهما ؛ لأنَّ مخرجهما الخيشوم ، وعند يونس المخففة هي الجان من الحيات[٦] .

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣٥٦/٢ .

(٢) الحيوان : ٢٥٤/٤ .

(٣) العين : ٤٢٥/٨ .

(٤) ينظر النوادر في اللغة : ٤٦ .

(٥) ينظر معجم مقاييس اللغة : مادة : أيم .

(٦) المصدر نفسه والمادة نفسها .

وابن السكيت يعدُّ المثقلة (أيِّم) صفة للمرأة والرجل اللَّذين لم يكن لهما زوج[١]. فتعني المرأة التي لا بعل لها والرجل الذي لا امرأة له بدليل قوله تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾[٢] فالأيامى جمع (أيِّم) سواء أكانت المرأة بكراً أم ثيباً التي ليس لها زوج والرجل أيضاً . قال جميل بن معمر :

أُحِبُّ الأيامى إذ بُثَيْنَةَ أيِّمٌ وأَحْبَبْتُ لَمّا أَنْ غَنِيْتِ الغَوانِيا

والفعل منه آمت المرأة تئيمُ أيّمةً وأيوماً [٣]. أي أصبحت من دون زوج .

أمّا الفراء فقد عدَّ الأيامى الحرائر ، وهنَّ القرابات ؛ نحو البنت ةالأخت وأشباههما[٤] .

مَفْعَلَة : مَحياة – مَحْوَاة

قال الجاحظ : ((**ويقال : أرض مَحْوَاةٌ وَ مَحْيَات من الحيَّات ، لما يقال أرض مُضَبَّة وضَبَبَة من الضّباب ، وَفئرة من الفَأر**)) [٥] .

يبدو أنَّ ما ذكره الجاحظ مستعمل عند العرب في الواو والياء نحو (مَحواة ومَحياة) فقد ذكر الخليل استعمال (محواة) على الترجيح وفي الإجماع بقوله: ((وأرض مَحواة؛ كثيرةُ الحيَّات ، اجتمعوا على ذلك.)) [٦] في حين أنَّ سيبويه قد ذكر التي بالياء فقط بقوله : ((ومَحياة ومَفعَاة : فيها أفاعٍ وحيَّات)) [٧] .

أمّا ابن السّراج فقد نقل عنه الجوهري استعمال البناءين بقوله :((وأرضٌ مَحْيَاة ومَحْواة أيضاً ، حكاه ابن السّراج ، أي ذاتَ حَيّات)) [٨] . ولم يذكر ابن السّراج هذا فقد قال : ((ومُحْيَأةُ من الحَيات)) [٩] .

---

(١) إصلاح المنطق : ٣٤١ .

(٢) النور : ٣٢ .

(٣) ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن : المجلد الرابع : ١٣٩ .

(٤) ينظر معاني القرآن : ٢٥١/٢ .

(٥) الحيوان : ١٦٥/٤ .

(٦) العين : ٣١٧/٣ .

(٧) الكتاب : ٩٤/٤ .

(٨) الصحاح : مادة : حيا .

(٩) الأصول لابن السّراج : ١٤٨/٣ .

والصاحب بن عباد قد قال أيضاً في استعمال البناءين[١] .

الظاهر أنّ ما ذهب إليه الجاحظ قد ذهب إليه غيره ، فضلاً عن اتفاقه مع بعضهم واتفاقهم معه في شهرة استعمال البناءين .

الاشتقاق الصرفي :

إنَّ الجاحظ قد استطرد في الاشتقاق من كلمة (كلب) ، استطراداً لغوياً قد استوفى فيه تقليب المادة اللغوية في ضوء أبنيتها ومعانيها من اسم وفعل ومصدر واسم فاعل واسم مفعول وصفة مشبهة ، بقوله : ((**وقلتم في الاشتقاق من اسم الكلب : كليب ، وكِلاب ومَكلبة ومُكالب ، وأصاب القوم كُلبة الزمان ، مثل هُلبة ، وهي الشّدة ... والكَلاّب بتثقيل اللام : صاحب الكلاب . والمُكلَّب ، بتثقيل اللام وضم الميم ، الذي يعلم الكِلاَب الصَّيْدَ . وقال طُفيلُ الغَنَوي :**

تُبارى مَرَاخِيها الزُّجَاجَ كأنّها ضِرَاءُ أحسَّت نَبَأَةً من مكَلِّبِ

وقالَ الآخر :

خُوصٌ تَرَاحُ إلى الصَّدَاح إذا غَدَت فِعْلَ الضِّراءِ تَراح للكَلاَّبِ

والكَلَبُ : داءٌ يقع في الإبل ، فيقال كِلبت الإبلُ تَكلَبُ كَلَباً ، وأَكلبَ القومُ : إذا وقع في إبلهم الكَلَبُ . ويقال : كَلِبَ الكلبُ واستكلب : إذا ضَرِيَ وتعوَّدَ أكلَ الناس، ويقال للرجل إذا عضَّه الكلبُ الكَلِبُ : قد كُلِبَ الرَّجلُ)) [٢].

إنَّ الجاحظ قد ذكر هذا الاشتقاق غير منفرد فيه ؛ لأنَّ اللغويين قد قالوا فيه قبله على الرغم من أنّه توسع فيه ، فالخليل (رحمه الله) قد ذكره بقوله: ((الكَلاّبُ والمُكَلِّب: الذي يُعلمُ الكلابَ الصَّيْدَ . وكلْبٌ كَلِبٌ : يكلَبُ : يأكلُ لحومَ الناس ، فيأخذه شبهُ جُنون ، فلا يعَضُّ إنساناً إلاّ كَلِبَ ، أي أصابَهُ داءٌ يُسمى الكَلَبُ)) [٣] . وقال أيضاً : ((وَكُلْبةُ الشِّتاء وكُلْبَتُهُ وَكَلَبَهُ ، أي شِدَّتُهُ ، وكذلك كَلَبُ الزّمان)) [٤]. أي شدة الزمان وقسوته .

---

(١) ينظر : المحيط في اللغة : ٤٣٤/٣ .

(٢) الحيوان : ٣٤٢/٥-٣٤٣ .

(٣) العين : ٣٧٥/٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٧٦/٥ .

وعدَّ أبو الحسن الأخفش : (كَلُبَ الرّجلُ) أي ذهب عقله فأصبح كأنَّ فيه داءُ الكَلَبُ[١] . وجعل أبو زيد الأنصاري كُلْبَةَ القوم : أصبحوا في ضيق من العيش[٢].

أمّا ابن السكيت فقد عدَّ (أكلبَ الرَّجُلُ) أصبح الداءُ في إبله الذي هو شبيه الجنون ، فقد كَلِبَتْ إبله تُكلبُ كَلَبَاً[٣] .

يبدو أنَّ الجاحظ قد أشار إلى ما قاله اللغويون الذين سبقوه في هذا المضمار ، فجمع شتاتهم وبوبه في أحسن صورة ، فضلاً عن أنه قال : ((**المُكلِّب بتثقيل اللام وكسرها وضم الميم : الذي يُعلمُ الكلاب**)) ، في حين أنّ الجوهري قد أضاف (المُكلَّب) بتثقيل اللام وفتحها بمعنى الأسير المقيد ، فالأسير المُكَلَّب ،أي المكبَّل ، وهو مقلوبٌ عنه[٤] .

فالجاحظ استقصى قول مَن سبقه وأضاف عليه ، فضلاً عمّا أضاف الذي جاء من بعده وهذا ديدن العلمُ والمعرفة .

المذكر والمؤنث :

استطرد الجاحظ في الأسماء المذكرة والمؤنثة ولا سيما أسماء الحيوان فضلاً عن ذكر المذكر والمؤنث من أسماء الإنسان ولا سيما المؤنث ليس من حروف المذكر ، نحو: رجل ؛ مؤنثه امرأة . وأسهب في مؤنث الحيوان الذي تلحقه تاء التأنيث لمذكره، واستشهد بكلام العرب للتأكيد على استعماله عندهم ، وقد ذكر أصحابنا ، والمقصود أهل البصرة ؛ لأنهُ بصري المذهب اللغوي ، وقد ذكر ذلك في موضوع ضحكهم عمن يقول : ضبعة مؤنث ضبع ، فقال : ((**ويقال : كلبة وكلب ، وذئبة وذئب ، وبِرذَون وبرذَونة . وأنشد :**

أَرَيْتَ إذا ما جالت الخيلُ جَوْلَةً وأنتَ على بَرذَوْنَةٍ غير طائل

ويقال : رجل .... امرأة .... ويقال : بعير وناقة وجمل ، ولا يقال : جَمَلَة ولا بَعيرَة ، وقد قالوا : رجل ورجلة وشيخ وشيخة . ويقال : كبش ونعجة ، ولا يقال : كبشة ، كما لا يقال : أسدة ويقال : أسد ولبوة .... ، ويقال : ذئبة وذئب ، وقال الشاعر :

كأنّهما ضِبْعانَةٌ في مَفَازَة وذِئبةُ مَحْل أمُّ حِرْوَينِ تعسلُ

---

(١) ينظر : النوادر في اللغة : ٢٥٤ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) ينظر : إصلاح المنطق : ٢٦٧ .

(٤) ينظر : الصحاح : مادة : كلب.

ويقال إنسان وإنسانة ، وسبع وسبعة ، وحمام وحمامة ، وحمار وحمارة ، وسرْحَان وسرحانَة ، وسِيدٌ وسِيدة . وهِقل وهِقلة ، وإلق وإلقة ، وقالَ رؤبة :

جَدَّ وجَدَّتْ إلقَةً من الإلق

وزعم أنّه يقال : ضبع وضبعة ، وثعلب وثعلبة . وأصحابُنا لا يقولون هذا ويضحكون ممّن يقولون : ضبُعة عرجاء . ويقال : ثُرمُلة ، ويقال : من الفراخ فرخ وفرخة ، ومن النمور : نمَرَ و نَمِرة ... ويقال : من الأرانب : أرنب ولا يقال أرنبة ، والذكر خُزَرَ . ويقال للأنثى : عِكرِشة ، ولولدها : خرنق ويقال : هذه أرنب وهذه عُقاب ، ولا يقال : هذا الأرنب ولا هذا العقاب . وقال الشَّمّاخ :

فما تنفكُّ بين عُويرضَاتٍ تجرُّ بَرأسِ عِكْرِشَةٍ زَمُوع)) [١]

إنَّ الذي أشار إليه الجاحظ في عدم إضافة التاء للتمييز بين المذكر والمؤنث في بعض أسماء الحيوان مطّرد عند من سبقه من العلماء ، فقد قال الأصمعي : ((البعير بمنزلة الإنسان ، يقال : هذا بعير ، وهذه بعير ، كما يقال : هذا إنسان و هذه إنسان))[٢]

أمّا إضافة التاء في (ضبعة) فقد أنكرها الجاحظ في قوله ((**وأصحابُنا لا يقولون هذا ويضحكون ممّن يقولون : ضبُعة عرجاء**)) . يؤيده قول رجلٌ ضَبيٌّ[٣] :

يا ضَبُعاً أكلَتْ آيارَ أَحْمرَة ففي البُطونِ إذا راحَتْ قراقيرُ

فاستعمل الضبْى (ضَبُع أكلَت) فهي مؤنث بدلالة الفعل (أكلت) فالدلالة اللغوية صريحة على ما ذهب إليه الجاحظ وأصحابه ، الضبع للمذكر والمؤنث .

وابن منظور يشدد على أنه لا يقال (ضبعة) للأنثى ويقال للذكر ضبعان . لكن الاستعمال العربي قد جنح إلى تقعيد هذه اللفظة ، فقد عاد وقال : ضبع للذكر ، وضبعة للأنثى ، وضبعان للذكر وضبعانة للأنثى[٤] . وهذا يعد من باب التطور اللغوي في استعمال اللفظة .

---

(١) الحيوان : ٢/٢٨٤-٢٨٧.

(٢) المذكر والمؤنث : لأبي بكر بن الأنباري : ٩٧.

(٣) النوادر في اللغة : ٧٦.

(٤) ينظر : لسان العرب : مادة : ضبع.

وقد أضيفت التاء إلى مؤنث مرادف اسم الضبع وهو (جيأل) ، ((وقال :المنتجع: هذه جيأل مقبلة ، وقال : قال أبو الفيض تسمى الأنثى جَيألة)) [١].

الظاهر أنّ الاستعمال اللغوي الفصيح جوَّزَ إضافة التاء إلى مؤنث (ضبع) ، ولكن الأفصح عدم الإضافة ، كما قال المنتجع بن نبهان الذي يُعدُّ من فصحاء الأعراب . الذين أخذ عنهم علماء زمانهم .

فضلاً عن هذا نقل الأصمعي ((قال : أنشدني أبو عمرو بن العلاء لرجل من بني عامر يقال له مُشَعّث :

وجاءت جَيألٌ وأبو بنيها أحمُّ المَأْقَيين به خُماعُ)) [٢]

يبدو أنَّ في إضافة التاء للمؤنث خياراً في الاستعمال عند العرب ، فقد ذكر الجاحظ (برذونة) بالتاء للمؤنث ويجوز استعمال (برذون) للمؤنث لكنَّ أبا بكر الأنباري قد ذكر (البرذون) للمؤنث والمذكر أو للمذكر فقط بقوله : ((فالبرذون يقع على المذكر والمؤنث ، يقال : برذون ذكر وبرذون أنثى ، وربَّما بنوا الأنثى على الذكر فقالوا : برذونة . قال النابغة الجعدي :

وبرذونةٌ كلَّ البراذينُ ثَفْرَها وقَدْ شَرِيَتْ مِن آخر الليل أُيَّلاَ))[٣]

أمَّا الأرنب فيقع على المذكر والمؤنث ويقال للمذكر خَرز وللأنثى عكرَشة ، فيقال : هذا أرنب وهذه أرنب ، ولكن عندما استعمل العرب عكرشة بالتاء للدلالة على المؤنث فمن الأجدر أن يقال لمؤنث الأرنب : الأرنبة ، ورُبّما جعلت العرب عند موضع الحاجة للأنثى مفردة الهاء وللذكر مفرد طرح الهاء[٤].

قال قطرب : ((يقال : أرنب وارنبة)) [٥].

وكلمة بعير يقع للمذكر والمؤنث أيضاً ، فلا يقال : بعيرة كما ذهب الجاحظ ، فيقال للجمل : (هذا بعير) وللناقة (هذه بعير) ، وتقول العرب : شربت لبن بعيرك وصرعتني

---

(١) المذكر والمؤنث : لأبي بكر بن الأنباري : ١٠٨.

(٢) الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة : ٣٩٩/٢.

(٣) المذكر والمؤنث : لأبي بكر بن الأنباري : ٩٦.

(٤) ينظر : المذكر والمؤنث : للفراء : ٤٧.

(٥) المصدر نفسه : والصفحة نفسها.

بعيري ، أي ناقتي ، فالبعير من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس ، فيقال للجمل بعير وللناقة بعير ، كما يقال للرجل والمرأة إنسان[١] .

ولو رجعنا إلى اللغات السامية (الجزرية) لوجدنا أنَّ ((البعير ينصرف للمذكر والمؤنث ، فهو في العبرانية (بْعير) مذكر ، وفي السريانية (بْعيرا) مؤنث يراد به مجموع الدّواب العاملة)) [٢] .

وقد سبق الأصمعي الجاحظَ في دلالة (بعير) على المذكر والمؤنث بقوله : ((البعير بمنزلة الإنسان ، يقال هذا بعير وهذه بعير ، كما يقال : هذا إنسان وهذه إنسان ، والجمل لا يكون إلا للذكر)) [٣] . ولهذا قد ذهب أغلب اللغويين إلى أنَّ العرب لم يقولوا (بعيرة) لكنّهم قالوا : (جمل) للمذكر فلم يدخلوا حرف التأنيث ، لأنهم اكتفوا بمغايرة اللفظ[٤] ، فجمل للمذكر وناقة للمؤنث .

لكنَّ اللغة العربية قد ألحقت حرف التأنيث نتيجة للتطور اللغوي ، ففي مرحلة لاحقة للتمييز بين المذكر والمؤنث قد قالوا : ((إنسانة وبعيرة ولا نظير لهما، وقيل : إنَّ من العرب من يقول فَرَسة)) [٥] . كما قالوا زوج للمذكر وزوجة للمؤنث ، والفصيح (زوج) وردت في القرآن الكريم دلالة على المذكر والمؤنث ، قال تعالى : ﴿ يا آدم اسكُن أنت وزوجُك الجنة ﴾[٦] .

وفي ضوء هذا يمكن أن يقال : إنَّ حرف التأنيث جاء من اقتراض اللغة العربية من أخواتها الساميات ، ((فإذا كانت لغة سامية قد استعملت الكلمة مذكرة ، كما فعل العبريون ، وإذا كانت لغة سامية أخرى ، وهي السريانية ، قد استعملتها مؤنثة . فلماذا لا نستطيع الافتراض أنَّ السامية الأولى قد استعملت اللفظة للتذكير ، وأنثتها بمميز التأنيث، وأنَّ اللغة العربية كونها أقرب الساميات إلى اللغة الأمّ قد استعملت الصيغتين؟ ولماذا لا

---

(١) ينظر : الصحاح : مادة : بعر.

(٢) النحو العربي نقد وبناء : ١٤٤.

(٣) المذكر والمؤنث : لأبي بكر بن الأنباري : ٩٧.

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٩٧.

(٥) المزهر : ٢٢٣/٢.

(٦) البقرة : ٣٥ والأعراف : ١٩.

نستطيع الافتراض أنّ العربية استعملت صيغة (بعير) في البداية للذكر والأنثى، ثم أدخلت عليه مميز التأنيث بعد رحلتها التطوّرية)) [١] .

يبدو أنَّ العربَ في بداية عهدها باللغة قالت : إنسان ، بعير ، ضبع ؛ لأنّ في بداية قدرتها العقلية والثقافية لم تملك التمييز بين المذكر والمؤنث ؛ ولكن بعد أن تطورت حياتها الحضارية ولغتها وضعت اسماً آخر بجنب الاسم الأول للتمييز بين المذكر والمؤنث ، ففي مرحلة التجريد والقياس عادوا إلى هذه الأسماء وميّزوا بينها بحرف التأنيث الذي أدخلوه للدلالة على المؤنث فقالوا : إنسان وإنسانة وبعير وبعيرة، وأرنب وأرنبة ، وضبع وضبعة كما قالوا في زوج وزوجة التي استعملها القرآن (زوج) للدلالة على المذكر والمؤنث ، عندما أمر الله آدم أنْ يسكن هو وحواء الجنة ، فاستعملها للدلالة على التأنيث من دون حرف التأنيث (التاء) . لكن اليوم وفي عربيتنا الحاضرة نضيف حرف التأنيث في التمييز بين المذكر والمؤنث في (زوج وزوجة) و(مسلم ومسلمة) ، (وطالب وطالبة) ، وهذا جاء نتيجة للتطور اللغوي والتداخل بين اللغات القديمة والحديثة بسبب الاختلاط البشري الذي حصل بسبب التطور الحضاري والتواصل بين الشعوب ولغاتها .

جمع التكسير بين القلّة والكثرة :

قال الجاحظ : ((**والكِلاب واحدُها كلْبٌ ، تجمع على كلاب وأكلب وكليب ، كما يجمع البُخت بَخيتاً وَأبختاً**))[٢].

يبدو أنَّ الجاحظ جمع (كلب) جمع تكسير في القلّة على وزن (أَفْعَل) فقال : (أكلب) وفي الكثرة قال كِلاب على وزن (فِعال) وهذه أوزان قياسية ، فضلاً عن ذلك أضاف وزناً آخر سماعياً هو وزن (فَعِيل) فقال : (كَليب) ، وقد عدّه سيبويه اسم جمع لا جمعاً[٣] .

وإذا كان العدد من ثلاثة إلى عشرة فيكون الجمع على وزن (أَفعل) نحو (أَكلب) وإذا كان أكثر من ذلك فعلى وزن (فِعال) نحو (كلاب) .

قال الخليل : ((الكلب : واحد الكلاب ... وثلاثة أكلب))[٤].

---

(١) المذكر والمؤنث الحقيقيان : مجلة دراسات عربية : د. عصام نور الدين .

(٢) الحيوان :١٤٢/٥ .

(٣) ينظر : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٩٦-٣٢٣ .

(٤) العين : ٣٧٥/٥ .

قال سيويه : ((هذا باب تكسير الواحد للجمع ، أمّا ما كان من الأسماء على ثلاثة أحرف وكان (فَعْلاً) فإنّك إذا أثلثته إلى أنْ تُعَشّرْ فإنّ تكسيره (أفْعُلٌ) وذلك نحو قولك : كَلْبٌ وأكْلُب ، وكعْبٌ وأكْعُب ، وفَرْخٌ وأفْرُخ ونَسرٌ وأنْسُر ، فإذا جاوز العدد هذا فإنَّ البناء قد يجيء على (فِعَال) وذلك قولك : كِلابٌ وكِباشٌ وبِغالٌ ... ورُبَّما جاء (فعيلا) وهو قليل نحو : الكَليب والعَبيد)) [١].

وجوّز الخليل (رحمه الله) بناء (فِعال) في (كِلاب) ضمن العدد ثلاثة إلى عشرة في الشعر بتقدير (ثلاثة من الكلاب) إذا قلت : (ثلاثة كِلاب) .

قال سيبويه : ((وسألت الخليل عن (ثلاثةُ كِلاب) فقال : يجوز في الشعر ، شبهوه بثلاثة قُرود ونحوها ، ويكون (ثلاثة كلاب) على غير وجهٍ ثلاثة أكلُب ، ولكن على قوله ثلاثةٌ من الكِلاب ، كأنك قلت : ثلاثةُ عَبْدِي الله . وإن نوّنت قلت : ثلاثةٌ كِلابٌ على معنىً ، كأنّك قلت : ثلاثةٌ ثُم قلت : كِلابٌ)) [٢].

إنَّ وزن (فَعْلٌ) الصحيح العين يجمع على (أَفْعُل) على القلّة نحو (كَلْبٌ : أَكْلُب) بشرط أن يكون اسماً لا صفة ، ليست فاؤه واواً ولا لامه مماثلةً لعينه ، سواء صحّت أم اعتلت بالياء أو بالواو ، ويجمع على الكثرة على وزن (فِعال) الاسم المجرد نحو (كلب: كِلاب) ولا يشترط في الجمع على هذا البناء أن يكون الاسم صحيح العين كما أشار بعض النحاة ، فقد اطّرَد جمع المعتل العين بالياء والواو عليه أيضاً نحو حوض : حِياض [٣].

<u>جمع الحرُ : أحرار أصله : حِرْحٌ ، فِعْلٌ :</u>

قال الجاحظ : ((**الاسم الحِرُ ، وجمعه أحْراح . قال الفرزدق :**

إنِّي أقودُ جملا مِمْرَاحَا في قبَّةٍ مُوقَرةٍ أحْرَاحَا

قالوا : وإنّما جمعوه على أحراح ، لأنّ الواحد حِرْح)) [٤].

يبدو أنَّ (حرُ) أصلها حِرْحُ ذهبت لامه التي هي (حاء) ويعرف ذلك عند تصغيره فتقول (حريح) [١].

---

(١) الكتاب : ٥٦٧/٣ .

(٢) الكتاب : ٦٢٤/٣ .

(٣) ينظر : الجموع في اللغة العربية : ١٢٤-١٤٦ .

(٤) الحيوان : ٢٨٠/٢ .

قال سيبويه في تصغير ما ذهبت لامه : ((ومن ذلك حِرٌ تقول : حُرَيحٌ ، يَدلُّك أنْ الذي ذهب لام ، وأنَّ اللام حاء قولهم : أحْرَاحٌ)) [٢].

فالحرُ بتخفيف الراء هو الفَرْجُ وأصلهُ حِرْحٌ بكسر الحاء وسكون الراء وجمعه أحراح ، جاء ذلك في حديث أشراط الساعة قول الرسول محمد (ﷺ) : ((يُستَحَلُّ الحِرُ والحرير)) وقيل : إنه روي بتشديد الراء وهذا ليس بجيد ، لأنه في التخفيف حَرَحٌ لا حَرٌ [٣].

أسماء الجمع :

قال الجاحظ : ((**ويقال بَقَر ، وبَقير ، وبَيقور ، وباقر .... وأنشد :**

فَسَكَّنَهم بالقول حتى كأنَّهم بواقِرٌ جُلْحٌ أسكنتها المراتعُ))[٤]

إنَّ التي ذكرها الجاحظ من أسماء الجمع ولا سيما باقر وبقير قد أشار إليها الخليل وعدّها من أسماء البقر وجماعته مع رعاتها ، فضلاً عن خروج التَسمية إلى فعل شق البطن وإلى بعض لباس نساء أهل الهند بقوله : ((البقرُ : جماعة البقرَة ، والبقير والباقرُ كقولك : الحَميرُ والضئينُ والجاملُ ، قال :

تكسَعْنَ أَذنابَ البَقير الدُّلّس

والباقرُ جمع البَقرُ مع راعيها ، وكذلك الجامل ، جمع الجَمَلِ مع راعيها والبَقْرُ: شقُّ البطن ، قال الراجز :

ضَرْباً وطَعناً باقِراً عَشَنْزَرا

والبقيرَةُ شبيهُ قميص تَلْبَسَهُ نساءُ الهندِ ، ضيِّق إلى السُّرَّةِ)) [٥].

في حين أنَّ سيبويه بعدُّ (باقر وجامل) اسماً للجميع ولكنه لم يكن جمع تكسير لواحده إلا أنه لفظه منه نحو قوم ونفر ، بقوله : ((هذا باب ما هو اسم يقع على الجميع لم يكسر عليه واحده ولكنَّه بمنزلة قَوْم ونَفَر وذَوْد ، إلاّ أنَّ لفظه من لفظ واحده ... ومثل ذلك : الجامِلُ والباقر ، لم يكسّرْ عليهما جَمَلٌ ولا بَقَرَةُ . والدليل عليه التذكير والتحقير ، وأنّ

---

(١) ينظر : أمالي ابن الشجري : ٣٨/٢.

(٢) الكتاب : ٤٥١/٣.

(٣) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣٦٦/١ ، وينظر : لسان العرب : مادة : حرر.

(٤) الحيوان : ٢٨٠/٢ .

(٥) العين : مادة : بقر : ١٥٨/٥ .

فاعلاً لا يكسّر عليه شيء . فبهذا استُدِلَّ على هذه الأشياء ، وهذا النحوُ في كلامهم كثير))[١].

إنَّ لفظ الباقر اسم جمع ؛ لدلالته على الجمع بمعناه ، وهو ليس بجمع تكسير فلا يكسّر عليه بقرة ؛ لأنَّ فاعلاً لا يكسّر عليه واحده ، وشبيه ذلك طائر وطير ، فهو بمنزلة قوم ونفر ، ولكنّه بلفظ واحدهِ ، نحو (كابر) التي هي اسم جمع .

قال أبو علي (رحمه الله) : ((كابر : ليس باسم الفاعل كقائم وقاعد ؛ لكنّه اسم من أسماء الجمع بمنزلة الجامل والباقر والسّامر والطائر والدابر)) [٢].

أمّا بقير فهو جمع لا واحدَ له وكذلك البواقر جمع باقر أو باقرة .قال الأصمعي: ((والبواقر جمعُ لا واحِدَ لها ، ويجوز أنْ يكون جمعَ باقرة . قال : والبقير لا واحِدَ له، وهو جمعُ مثل الضَّئين والشَّويَّ)) [٣] .

في حين أنَّ ابن فارس يعدُّ البقر جمع للبقرة وكذلك البَقير والباقر بقوله : ((فأمّا البقر فجماعة البقرة ، وجمعُها أيضاً البَقير والباقر كقولك : حمير وضَئين ... وقال في الباقر :

وما ذَنْبُه أنْ عافت الماءَ باقِرٌ وما إنْ تَعافُ الماءَ إلاّ ليُضرَبا)) [٤]

يذهب إلى هذا المعنى شارح ديوان الأعشى بقوله : ((كلما أعرضت البقر ضُرِبَ الثور على غير ذنب جناه)) [٥] . أي أنَّ (باقر) يعني به البقر التي لم تشرب الماء فتعرض عنه فيضرب الذكر (الثور) لحملها على الشرب .

وفي رأي آخر ذهب إليه الأصمعي أنَّ هذه الأسماء يقصد بها جماعة البقر بقوله: ((يقال رأيتُ لِبَني فُلان بَقَراً وبَقيراً وباقِراً وباقورة ... قال : وأنشدني ابن أبي طرفة:

فسكَّنتُهُم بالقَول حَتّى كأنَّهُمْ بَوَاقِرُ جُلْحٌ أسكَنَتْها المَراتِعُ)) [٦]

---

(١) الكتاب : ٦٢٥/٣ .

(٢) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة : ٦٩٠ .

(٣) معجم مقاييس اللغة : مادة : بقر .

(٤) معجم مقاييس اللغة : مادة : بقر.

(٥) ديوان الأعشى : ١٦٥-١٦٦.

(٦) معجم مقاييس اللغة : مادة : بقر.

هذا البيت من شعر قَيس بن عيزارة الهذلي ، فقد ذهب شارحه إلى أنَّ ((جُلْح : بَقَرٌ لا قُرونَ لها ، فبواقر : جمع باقر ، أي كأنهم بقرٌ لا قرون لها سكنت وطابت نفسها في المراتع)) [١] .

فالمقصود من أنَّ بني فلان يملكون جماعة البقر ؛ لأنّ (باقر) وأمثاله يقصد به جماعة البقر حتى يمكن أن يقال : هي ورعاتها ، كما أشار إلى ذلك الخليل (رحمه الله) ، فهي اسم جنس ؛ ولهذا عدّت أسماء جمع لا جمع كما أشار ابن منظور بقوله : ((فأمّا بَقرٌ وباقِرٌ وبَقيرٌ وبيقورٌ وباقورٌ وباقورة فأسماء جمع ، وزاد الأزهري : بواقر ، عن الأصمعي)) [٢] .

التسمية بجمع المؤنث لا بمفرده :

قال الجاحظ : ((**الأروَى : إناث الأوعال ، واحدتها أُروّية . والناسُ يُسمُّون بناتهم باسم الجماعة ، ولا يُسمُّون البنت الواحدة باسم الواحدة منها : لا يُسمُّون بأروية ، و يُسمُّون بأرْوَى . وقال شماخ بن ضِرَار :**

فما أروَى وإن كرُمت علينا بأدنى من مُوَقْفةٍ حَرُون

وأنشد أبو زيد في جماعة الأرويّة :

فمالك مِن أَرْوى،تعاديت بالعَمَى ولاقيت كِلاباً مُطِلاً ورَميا))[٣]

إنَّ هذه التسمية واردة في الاستعمال اللغوي عند العرب عندما يسمون الأنثى الواحدة بجمع تكسير المؤنث ؛ فضلاً عن التسمية بالمفردة المؤنثة قال الجوهري: ((الأُرْوية : الأنثى من الوعول ، وبها سميت المرأة وهي أفعولة .... وثلاث أراويَّ على أفاعيل ، وقد يخفف فيقال ثلاث أراوٍ ، فإذا كثرت فهي الأَرْوَى على أفعل بغير قياس . وأروى أيضاً : اسم امرأة)) [٤] .

فالبناءان مستعملان في التسمية عند العرب ، بناء الجمع وبناء المفردة ، فالأروى جمع تكسير كثرة للأروّية الأنثى والذكر من الوعل ، ويجمع على أراوي أيضاً.

---

(١) ديوان الهذليين : ٧٦/٣.

(٢) لسان العرب : مادة : بقر.

(٣) الحيوان : ٤٩٨/٣.

(٤) الصحاح : مادة : روى .

فيمكن التسمية في الواحدة والجمع ؛ لأن المعاني مطروحة عند العرب في استعمالهم لهذه التسمية أو تلك ، فضلاً عن أنَّ أراوي هي تكسير لأروية ، وأنَّ الأروى اسم للجمع كالأعم للجماعة ، كما حكاه أبو علي الفارسي[١] .

يبدو أنَّ الأروى ليس جمعاً بل اسم جمع ، أمّا الجمع لأروية فهو أراوي ، ومن نافلة القول تُعدُّ هذه التسمية من باب تسمية الأنثى (البنت) باسم الجمع لا بالجمع نفسه ، فضلاً عن تسميتها بالمفردة المؤنثة (أروية) . وما ذكره الجاحظ في حصر التسمية بالجمع لا بالمفردة فيه نوع من التحفظ لا يقاس عليه عند اختيار اسماء البنات لدى العرب .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، د. خديجة الحديثي ، منشورات مكتبة النهضة بغداد ، ط١ ، بغداد ١٩٦٥م-١٣٨٥هـ .
- ارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة ، تأليف د. صالح الشّماع ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .
- أساس البلاغة ، تأليف جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) قدّم هذه الطبعة : أ.د. محمود فهمي حجازي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، الشركة الدولية للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- إصلاح المنطق لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، ط٣ ، ١٩٧٠م .
- الأصوات اللغوية ، تأليف الدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٤ ، ١٩٩٩م .
- الأصول في النحو لأبي محمد سهل ابن السراج (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الأمالي الشجرية لأبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني المعروف بابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان ، بلا
- البلاغة عند الجاحظ . د. أحمد مطلوب ، دار الشؤون الثقافية العامة للنشر بغداد ١٩٨٣م .
- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدني ، ط٥ ، ١٩٨٥م .

(١) ينظر : لسان العرب : مادة : روى .

- التطور النحوي للغة العربية للمستشرق الألماني برجشتراسر، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٨٢م .
- التنبيه على شرح مشكلات الحماسة لأبي الفتح عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢هـ) دراسة وتحقيق د. عبد المحسن خلوصي الناصري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، أيلول ١٩٧٤م . مطبوعة على الآلة الكاتبة .
- الجموع في اللغة العربية ، د. باكيزة رفيق حلمي / مطبعة الأديب البغدادية ١٩٧٢م ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب بجامعة القاهرة .
- الحيوان تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل – بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٩٨٨ .
- الخصائص ، تأليف الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت –لبنان ط٢ (بلا) .
- الدّرّة الفاخرة في الأمثال السائرة للإمام حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت ٣٥١هـ) ، حققه عبد المجيد قطامش ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢م .
- ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٧م .
- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) شرح وتعليق محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤م .
- ديوان الهذليين ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، الدارالقومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .
- الزاهر في معاني كلمات الناس ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) ،تحقيق د. صالح حاتم الضامن ، دار الرشيد للنشر ، بغداد –العراق، ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م .
- سر صناعة الإعراب ، تأليف الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م .
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعه أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ)، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
- شرح المفصل لابن يعيش النحوي (ت ٦٤٢هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، (بلا) .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري (ت في حدود ٤٠٠هـ) ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٩٨٧م .
- علم الأصوات ، د. كمال بشر ، طباعة ونشر دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزومي ، و د. إبراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، دار الرشيد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٠-١٩٨٥م .
- فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) ، حققه د. خليل إبراهيم العطية ، ساعدت جامعة البصرة على نشره،المكتبة الوطنية ببغداد ،١٩٧٩م.
- فقه اللغة وأسرار العربية تأليف الإمام أبي منصور بن عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٠هـ) منشورات دار الحياة ، بيروت ، (بلا) .
- الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) ، تعليق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، (بلا) .
- الكتاب ، لسيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٢، ١٩٨٢م .
- لسان العرب ، لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) ، دار لسان العرب ، بيروت ، (بلا) .
- ليس في كلام العرب ، لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق د. محمد أبو الفتوح شريف ، مكتبة الشباب ، مصر ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- مجلة دراسات عربية ، العدد الثاني السنة السادسة والعشرون ، كانون الأول عام ١٩٨٩م ، بيروت – لبنان ، (المذكر والمؤنث الحقيقيان بحث د. عصام نور الدين) .
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، لمؤلفه الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) تصحيح السيد باسم الرسولي المحلاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ١٣٧٩هـ .
- المحيط في اللغة ، تأليف الصاحب إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥هـ) ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد ، مطبعة المعارف ، دار الحرية للطباعة ، ط١ ، ١٩٧٥-١٩٨١ م .
- المذكر والمؤنث ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) ، تحقيق د. طارق عبد عون الجنابي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٨م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، دار الفكر بيروت ، (بلا).
- معاني القرآن ، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) عالم الكتب بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
- النحو العربي نقد وبناء ، تأليف د. إبراهيم السامرائي ، دار الصادق بيروت ، ١٩٦٨م .
- النشر في القرآت العشر ، تأليف أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، تصحيح علي محمد الضبّاع ، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، (بلا) .
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي السعادات المبارك الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٦٣م .
- النوادر في اللغة ، لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (ت ٢١٥هـ)، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنا ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م .
- الوجيز في فقه اللغة ، محمد الأنطاكي ، مكتبة دار الشرق ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٩م .